

### III- إهداءات، وتقديرات، وتذييلات:

يصاحب الخطاب الشعري عند فدوى طوقان إهداءات وتذييلات وتقديرات، يفترض أنها عناصر مساعدة على تعيين المعنى وتيسير التأويل، فهي إذن عتبات (seuils) يقوم بعضها بدلا عن معاني النصوص أو محددات لدلالاتها ليمنع تشتت المعنى أو على أقل تقدير يجمعها في وجهة واحدة فيحد - إلى حد ما - من التعدد الدلالي، بوصف النصوص المصاحبة محددات لمعالم المعنى المقصود عند الشاعرة، والمراد فهمه عند المؤولين حتى لا يخرج الانفعال الشعري إلى صورة معنوية غير مرادة تناقض في وجودها وجود باقي الصور الأخرى، أو وجود الشاعرة ذاتها. غير أن الواقع يجعل تلك النصوص المصاحبة رغم أهمية ورودها ووجودها من حيث الدلالة خصوصا مبتورة دلاليا عن معاني النصوص الواردة معها. فكم من إهداء هو إهداء تشريفي عاطفي لا علاقة له بالانفعال أصلا، والنص لا يحوي علاقة اتصال بينهما في كليته وإنما في بعض جزئياته، ليتعين بهذا الوضع تعالق المصاحب بالأصل المفرد لا بغيره من النصوص الأخرى حتى وإن اجتمعت كلها في غرض واحد، أو اختلفت أغراضها وقامت على مبدأ واحد.

ويؤدي الإهداء المخصوص دورا هاما في حصر المعنى للمهدى له، وبتتبع الأحوال يرتسم المراد ويحصل الفهم الموازي للقصد إن لم يكن المساوي له.

ومن الإهداءات أيضا ما تصدر الأجزاء مجملا من غير تعيين، واكتفت بصفاتهم وأحوالهم بما يساعد على توقع مقاصدها سواء من خلال الإهداء أو من خلال محمولات النصوص الدلالية.

وأصعب ما في الوضع المجمل هذه التقديرات التي تتوسط النصوص وعناوينها، وأعني ما تلا الخط الفاصل بين العنوان والنص، فهي - وإن كانت نثرا - إلا أنها أصعب من حيث الفهم من النصوص ذاتها؛ لأن النصوص تتكاتف لتصنع فضاءً دلاليا واحدا يمكن فهمها فيه، غير أن تلك التقديرات لا تزيد الأمر إلا غموضا وكأنه شيء مقصود، إلا أن ما فيها من تعيينات يرسم موضوعا كليا لفضاء ما، ينبغي أن يكون هو نفسه فضاء النص الشعري الذي تقدّمه النص المصاحب.

ويبدو أن التذييلات الواردة تحاول أن تصرف فهم المؤول إلى ما يتبادر إلى ذهنه، وهو وضع يبين أن قراءة ثانية للشاعرة أكدت لها إمكانية صرف معاني النصوص إلى وجهات هي لا

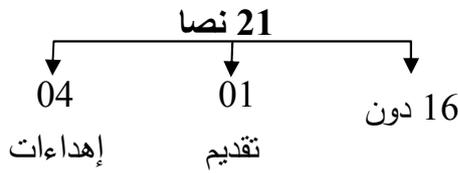
تريدها أو قد تسيء إلى جهات هي لا تريد الاصطدام معها، فعمدت إلى التذليل وفي بعض الأحيان إلى ما يشبه التهميش المنهجي شارحة نثرا مرادها بالنفي أو الإثبات للمتبادر إلى الذهن! .

## الفصل الثاني: التأويل المجمل

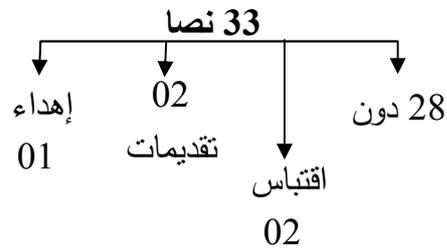
وأما الاقتباسات التي تسبق النصوص على تنوعها واختلافها تمثل نوعا من الصرف الأولي للمؤولين إلى بنية دلالية معينة تخاطب ثقافتهم وإدراكاتهم العلمية والأدبية وتوجهاتهم العامة من أجل رؤية النصوص من حيث الدلالة كما ارتسمت اقتباساتها عندها، وكأنها تصرفهم إلى رؤية العالم بعينها هي، وتدعوهم للتخلص من كل اهتماماتهم الخاصة ونشاطاتهم التأويلية إلى وضع تتساوى فيه أفهامهم ومقاصدها. وربما هو شكل من المعرفة الدفينة عندها أدركته تأويلا لكلام غيرها وتراعى لها أنه يمكن أن يساعد المؤلفين على فهمها فأوردته في خطابها الشعري ليكون مساعدا ومصاحبا للفهم، ولا يعقل أن يكون المراد منه التعمية والتعظيم وكسر الفهم. وهو ظن حسن بالشاعرة-؛ لأن قراءة النصوص الشعرية وتأويلها لا يحتاج إلى اقتباسات ولا إلى غيرها إذا تمكن المؤلف من إمساك خيط المعنى الأساس، وأدرك نواته. وقد تكون تلك الاقتباسات إلهاما تنسج منه الشاعرة قصائدها ليكون خطابها الشعري إعادة إنتاج لإرث إنساني أو تناسا معه، وتكون بهذا قد رنت إلى رؤية كونية تقوم على محو الحدود الثقافية والانفتاح على الآخر ما دام في انفعالاته إنسانا متزنا يهتم بقضايا الإنسان الوجودية والتي تؤرقه وتجعله محبا للإنسان على أساس العدل والأخوة والمساواة.

ويبدو أن هذا الوضع يعم كل اقتباس مهما كان ترتيبه بالنسبة للنص تقدما أو تذييلا أو إهداء.

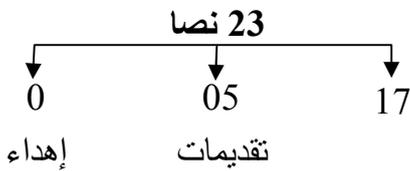
في ((وجدتها))



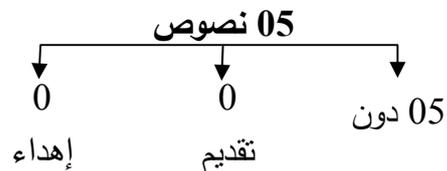
في ((و أنا وحدي مع الأيام))



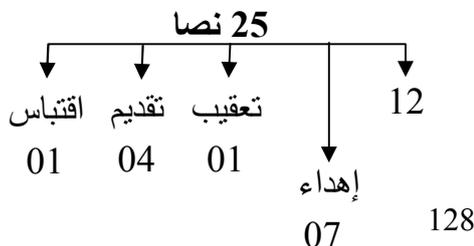
في ((أعطنا حيا))



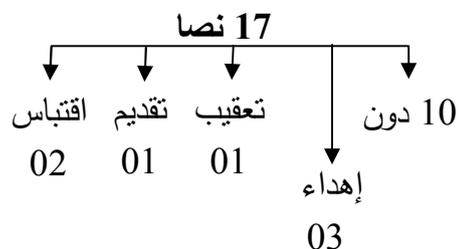
في ((قصائد من رواسب وحدي مع الأيام))



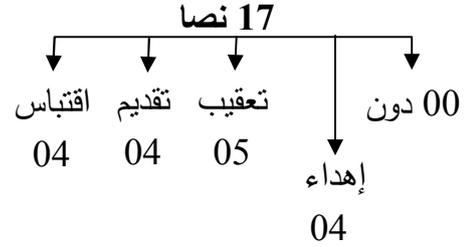
في ((الليل والفرسان))



في ((أمام الباب المغلق))



في ((على قمة الدنيا وحيدا))



1. تنعدم الاقتباسات في الأجزاء [2،3،4] لتظهر في الأول وفي الأجزاء الثلاثة الأخيرة [5،1،6،7].
2. في الجزء الأول والخامس إهداء خاص يشمل كل نصوص الديوان لأخويها إبراهيم ونمر على الترتيب، بما يكسبه صفة الإهداء العام، ليكون الخاص ما تفردت به ملفوظات نص واحد فقط.
3. ينعدم الإهداء العام في ((وجدتها)) [2] و((قصائد من رواسب وحدي مع الأيام)) [3] كما ينعدم في ((الليل والفرسان)) [6]، وعلى ((قمة الدنيا وحيدا)) [7].
4. أغلب نصوص الأجزاء الأربعة الأولى لا تحمل إهداءات ولا تقديمات، ونسب ورودها ضئيلة مقارنة بالنصوص المفردة، والجزء الثالث [3] منها لا يحمل إهداءً ولا تقديمًا مطلقًا، وهو الوحيد على ذلك.
5. يتقدم الجزء [4] إهداء عام صرفته الشاعرة إلى طائفة الهارين من القلق والضيق، وبذلك ترنو إلى رؤية تتجاوز الذاتي إلى الجمعي، وقد تصل حد الكوني وهي الصفة التي يمكن استنباطها من الإهداءات الخاصة والمتبادلة.
6. يتوسط الجزء [5] اقتباس ديني يتضمن اعترافات القديس أوغستين<sup>(1)</sup>، ويذيل بتعقيب سمته الشاعرة "تذييلاً" لقصيدة [رؤيا هنري] في آخر صفحة منه<sup>(2)</sup>. والقصيدة هي الثانية في هذا الجزء<sup>(3)</sup>؛ فيكون التوقع رؤية واحدة في كل الجزء تستشهد عليها بنص ديني مسيحي ورؤية رسام اكتسب شهرة عالمية "ويليام فولكنر".

<sup>1</sup> - الديوان ، ص 419.

<sup>2</sup> - الديوان ، ص 475.

<sup>3</sup> - الديوان ، ص 414.

7. في الأجزاء [5، 6، 7] يضاف التعقيب والاقْتباس.
8. يؤدي كل تعقيب دور التهميش شرحاً وتوضيحاً وبيانا للقصد المراد، وخاصة وروده . أي التعقيب - تماماً كما يرد التهميش أسفل الصفحة بخط هامش.
9. الجزء [7] هو الجزء الوحيد الذي يصاحب فيه كل نص نصاً آخر (إهداءً، أوتعقيباً، أو تقديماً، أو اقتباساً). ويتقدم الجزء [7] اقتباس على خلاف باقي الأجزاء الأخرى [أدبي/ألبير كامو (Albert Camus)] ويليه ما سمته الشاعرة بـ: "نبوءة العرافة" في شكل رباعية<sup>(1)</sup> يبدو أنها تستشرف حادثاً ما.
10. في الجزء [7] أيضاً اقتباس ديني من التوراة<sup>(2)</sup>، وفيه اقتباس ديني آخر من القرآن<sup>(3)</sup>. واقتباس أدبي من الأدب العربي المعاصر لغسان كنفاني<sup>(4)</sup>، واقتباس أدبي آخر لشكسبير (W. Shakespeare)<sup>(5)</sup>، واقتباس آخر من سيرة العرب لهند بنت عتبة في غزوة أحد<sup>(6)</sup>، وكلها تتشاكل دلالياً مع الاقتباس الذي قدمت به الجزء. ينبئ الوضع بثقافة واسعة ومعارف متنوعة، وتعطي لنفسها منها شرعية الانفعال الذي قد يكون فيه رؤية مخالفة لما يتوقعه الآخرون منها، فهي تدلل على صحة مذهبها بكل ما يجعلها على يقين، بل حتى تكسب الآخرين يقيناً من يقينها الذي تقره الشرائع الدينية والتوجهات الخليقة بالاتباع.
11. في الجزء [7] تجري الشاعرة على إفهام المتلقين ولذلك تأتي النصوص المصاحبة غير العناوين بقدر عدد النصوص . في الجزء كله . وقد يجزم بتيسير الفهم وتوضيح القصد وذلك بإجادة البيان.
12. ومن كانت معارفه على هذا القدر من الاتساع، تكون رؤاه على قدر واسع من السلامة والصحة فترجو لها القبول عند الآخرين.. فما يمكنها أن تكون ؟ وكيف آل الحال عندها إلى اعتماد رؤى حياتية، قد تستقيم معها الحياة كونها إمكانية محتملة، كما تستقيم عندها يقيناً وضرورة؟.
- إن القاعدة في الإهداء أن يصرف الخطاب في كليته لأخويها "إبراهيم" و"نمر"، ولا يستثنى منها إلا كل مخصوص بغيرهما. لقد أكدت إهداءها لأخيها إبراهيم بتخصيص نص له بعنوان

1 - الديوان ، ص 572.

2 - الديوان ، ص 577.

3 - الديوان ، ص 582.

4 - الديوان ، ص 606.

5 - الديوان ، ص 621.

6 - الديوان ، ص 624.

مختلف<sup>(1)</sup>، كما أكدت ومن غير إهداء ذلك لأخيها نمر بعنوان القصيدة ((مرثاة إلى نمر))<sup>(2)</sup>، وقد كانت قدمت بقولها: ((قصائد إلى نمر))<sup>(3)</sup> جاءت القصيدة السالفة بعده.

وأما المستثنى من خطابها فهو المصروف لغيرهما أو هو المصروف لهما بالعموم ولغيرهما بالخصوص، ليكون الخطاب في قلبه الكلي بكاءً على أخويها وتصويراً لحالها بعدهما وفي بعض أجزائه مصروفاً لآخرين:

1. صديق مغيب في السجون:

كمال ناصر<sup>(4)</sup> وسلمى الخضراء الجيوسي<sup>(5)</sup>، وقد ردت على قصيدتيهما.

2. صديق غير معين عند المتلقين:

الصديق ((ي))<sup>(6)</sup>، والصديقة روز ماري<sup>(7)</sup>، و..((J))<sup>(8)</sup>.

3. صديق قريب غريب:

صديقها A.Gascoigne<sup>(9)</sup> وسلفاتور كوزيمودو Salvatore Quasimodo<sup>(10)</sup>.

4. إلى قريب غير معين أو معين عندها دون غيرها:

فارس<sup>(11)</sup>، ويحتمل أن يكون فرداً اسمه ((فارس)) أو كناية عن فرد من أبطال 06 أكتوبر.

5. إلى زميل شاعر صديق:

سميح القاسم<sup>(12)</sup>.

6. إلى أبناء الوطن: شهيد وسجين ومغيب ولاجئ ومن يعاني ويلات كرمة وعمر (طفلان من

الضفة الغربية)<sup>(13)</sup>، والطالبة الشهيدة ((منتهى حوراني))<sup>(14)</sup>. والشهداء: كمال ناصر ومحمد

يوسف النجار، وكمال عدوان<sup>(15)</sup> والسجناء الفلسطينيين في إسرائيل<sup>(16)</sup>.

1- الديوان، على القبر، ص 123. بقولها: (إلى روح إبراهيم) وإهداء القاعدة هو قولها: (إلى روح شقيقي إبراهيم) قبل الجزء [1]، وهو نفسه الإهداء الوارد في ص 166: (إلى روح شقيقي إبراهيم). وقبل الجزء [5] من الديوان، ص 409 إهداء إلى نمر: (إلى روح شقيقي نمر).

2- الديوان، ص 420.

3- الديوان، ص 419.

4- الديوان، ص 321.

5- الديوان، ص 441.

6- الديوان، ص 451.

7- الديوان، ص 582.

8- الديوان، ص 533.

9- الديوان، ص 411.

10- الديوان، ص 238.

11- الديوان، ص 557.

12- الديوان، ص 612.

13- الديوان، ص 492.

14- الديوان، ص 561.

15- الديوان، ص 559.

16- الديوان، ص 614.

7. إلى زميل كفاح وشاعر مناضل:  
شعراء المقاومة<sup>(1)</sup>.

8. إلى زعيم فذ:

جمال عبد الناصر<sup>(2)</sup>، وقد رثته بالقصيدة التي رافقها هذا الإهداء<sup>(3)</sup>.

كل هذه الإهداءات - وهي قليلة مقارنة بعدد النصوص - تخص الإنسان بما يرحح الشعور بالذات وبالغير في توجه الشاعرة نحو رؤية جمعية تتجاوز فيها حدود البكاء على حالها إلى تصوير ما يعيشه غيرها، لتساوى مأساتها بمأساتهم وقد تفوقهم قليلاً، وكلهم يعيشون حالة من فقدان والقيود، فقد حيل بينهم وبين العيش بحرية في فلسطين. ولا حرية دون الشعور بها كاملة، من غير نقصان وفي كل الوطن العربي.

وقد جاءت كل الإهداءات إلى أشخاص نوعيين من زعيم وشاعر وشهيد وسجين وصديق قريب يشاركها المحنة وألم الحرمان، ويتعاطف معها ومع القضية. ولذلك بادها محمود درويش وكمال ناصر الإهداء والقصيدة<sup>(4)</sup>.

وفي قولها: (... التهمتهم السجون في إسرائيل وفي كل مكان)<sup>(5)</sup>، عدة تلميحات يحملها المؤشر: ((في كل مكان)):

أولها: أن يلحق اللاجئ والمهجر وعرب الشتات بالمساجين في إسرائيل فكلهم معنيون محرومون من الحرية الشخصية والجماعية.

الثاني: أن يلحق كل سجين خارج إسرائيل من غير عرب فلسطين بعرب فلسطين، ليكون الوقع إنسانياً والرؤية شمولية، عادلة لا تستثني أحداً، إنما هي القضايا العادلة في الكون كله والناس إخوة ينبغي أن يتمتعوا جميعاً بنفس الحقوق ويلتزموا بنفس الواجبات.

الثالث: أن يلحق الشعور بالسجن رغم الحرية بشعور من التهمتهم السجون سواء أكانوا من عرب 48<sup>(6)</sup> أو من عرب الشتات أو كل ما شابههم في هذا الكون.

1 - الديوان ، ص 511.

2 - الديوان ، ص 602.

3- الديوان ، مرتبة الفارس، ص 602. وقد يكون هو الفارس كما في العنصر 4 في المتن.

4- الديوان، ص 518، للأول بقصيدة (يوميات جرح فلسطيني). وص 325 للثاني، وقصيدته معنونة بـ (من الأعماق)، وقصيدتها إليه عنوانها:

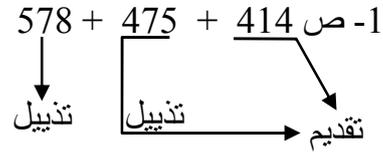
(إلى المغرد السجين)، ص 321 من الديوان.

5- الديوان، ص 614.

6- هم العرب الذين بقوا في إسرائيل، يحملون الجنسية الإسرائيلية، ويعيشون بنفس الحقوق والواجبات مع اليهود. وعرب الشتات هم المهجرون والمهاجرون الذين يعيشون في المخيمات أو يحملون جنسيات عربية أخرى من بعض دول الجوار وعلى الخصوص (الأردن).

الرابع: تعيين أزمة الإنسان من خلال علاقات الغياب والفقدان المتواصل لمقومات الحياة الإنسانية المتزنة.

تعيين هذه الرؤية الإنسانية في التعقيبات والتقديمات من خلال:



إن الملاحظ في كل هذا أن الخط هو خط الكفاح والنضال وممارسة التحرر. وبالنسبة للشاعرة فإن الأرض المغتصبة هي الحلم الذي ينبغي أن ينعم باستقلاله، وفي إهداءاتها خصصت ((رفيديا)) نموذجاً للفردوس ((الظلال الخضراء))<sup>(1)</sup> حيث ينعم الإنسان بالحرية والأخوة والمساواة وكل معايير الإنسانية السليمة، ولكنها لا يمكنها توفير ذلك لوقوعها تحت وطء الاحتلال، مما يستلزم بذل قصارى الجهود لرفعه... إنه الشعور الجديد الذي يصرفها من الانطواء والتفوق على الذات من خلال التوجه الكلي لفقدانها أخويها إلى الوطن ولحن التحرر. وهو ما يبرر هديتها إلى أم الأعمال العظيمة، مصر الثورة في حرب السويس كما تقول الشاعرة<sup>(2)</sup> ومصر هو المكان الثاني الذي خصته بإهداء بعد ((رفيديا))، وللجمع بين الوضعين، يكون التجمع في مصر ومن ثم يتجه التحرير إلى كل بقعة من الأراضي المحتلة، وما الشعلة والحرية في عنونتها إلا مؤشرات على هذا المذهب والتوجه.

ويبدأ الوضع بالزمن تحديداً لبدء الصراع وحال الإنسان ومعاناته وتضحياته. لقد تحول الوضع بعد قيام دولة إسرائيل، إذ كان الصراع عربياً إنكليزياً (أيام الحماية) ثم صار عربياً إسرائيلياً بعد هذا الحدث وقد عينته الشاعرة بذلك كما يلي:

1. (يوم الاحتلال الصهيوني)<sup>(3)</sup>، وهو بداية لزمناً المقاومة والرفض.
2. وفي قولها: (وفي الأسابيع الأولى التي تلت أيام الحرب، كانت الصحف والإذاعات الأجنبية المعادية تتحدث بتشفي وشماتة عن حرب حزيران، وكأن نهاية الأمة العربية منوطة بتلك النكسة)<sup>(4)</sup>، موقف العالم من العدوان وهضم حقوق الشعب الفلسطيني.

1- الديوان، هنيهة، ص 234

2- الديوان، شعلة الحرية، ص 162.

3- الديوان، ص 481، وهو تقديم.

4- الديوان، ص 487، وهو تقديم.

3. (مهداة إلى عائشة أحمد عودة)<sup>(1)</sup> و(كانت رسالته وضع الحقيقة الفلسطينية أمام عيون العالم المضلل واللامكترث)<sup>(2)</sup> و(من صور المقاومة)<sup>(3)</sup> وكلها ملفوظات تمثل حركة الفداء والتضحية والمقاومة المستميتة. إنه الصراع بكل تداعياته.

4. (-عند جسر النبي- من صور الاحتلال الصهيوني)<sup>(4)</sup> و(كتبت هذه القصيدة في الشهور الأولى من الاحتلال الصهيوني، أيام كانت الجسور بين الضفتين ما تزال منسوفة، والعبور محضورا. وخلال هذه الأشهر كان يسقط كل يوم برصاص العدو عشرات الضحايا ممن كانوا يحاولون عبور النهر سباحة)<sup>(5)</sup> صورة لمعاناة الشعب الفلسطيني أمام الجسور الإسرائيلية للعبور من وإلى ضفتي الأرض المحتلة، إنه الاغتراب داخل الديار !!!.

5. ("هنا كان سوق النخاسة، باعوا والدي وأهلي" إشارة إلى المساومة التي جرت في لندن بين الإنكليز وزعماء الصهيونية على فلسطين، حيث ظفر هؤلاء الزعماء بوعدهم بلفور وحيث خلق الانتداب البريطاني في فلسطين كل الظروف المناسبة التي أدت فيما بعد إلى قيام إسرائيل)<sup>(6)</sup> و(فلسطين ما بعد التقسيم والفلسطينيون والقضية الفلسطينية تتشابك كلها في شخصيته واحدة هي التي تتكلم هنا)<sup>(7)</sup>. تمَّ بيع الأرض دون علم أصحابها، فتكلم الكل كما تكلمت الأرض من أجل قضية واحدة ترفض البيع والمؤامرة.

6. لقد أعطى المحتل لنفسه الشرعية بالعودة إلى أرض صهيون بوصفه شعب الله المختار غير أن الوضع دجل وتعمية: (تظلمون يا حارسي أنبياء الكذب. وجاء في التوراة: قال الرب تنبأ الأنبياء باسمي. لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم بالرؤى الكاذبة ومكرى القلب يتنبأون.. وها أنا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة)<sup>(8)</sup> وقد لحقهم العذاب لكذبهم وادعاء ما ليس بحق ولا يقين.

و(حين تتم دورة الفصول

ترجمه مواسم الأمطار

يطلعه آذار

1- الديوان، ص576، وهو تعقيب للتعريف بعائشة أحمد عودة.

2- الديوان، ص607، وهو تقديم للشهيد وانل زعيتر.

3- الديوان، ص502، تقديم لمعركة طوباس/نابلس، واستشهاد مازن أبي غزالة في 1/9/1967 مفرجا نفسه وسط جنود الاحتلال بعد نفاذ ذخيرته.

4- الديوان، ص529، وهو تقديم.

5- الديوان، ص493، وتعقيب.

6- الديوان، ص575، وهو تعقيب، لتمييز سوق النخاسة المراد عن غيره ! نخاسة العصر الحديث !! ؟

7- الديوان، ص590، وهو تعقيب ليميز المتكلم، [ وقد بلغت القضية العشرين عاما ] !.

8- الديوان، ص577، وهو تعقيب من التوراة، إرميا 14 وإرميا 23.

في عربات الزهر والنور<sup>(1)</sup>. إنه الرد على نبوءتهم المنسوبة إلى الله، ونبوءتها بشرية فيها توقع يصدقه الواقع والتاريخ والعرف الإنساني، ولا بد أن يرجع الحق لأصحابه.

حينما وقع الاحتلال وأبدى العالم ردة فعل معادية للعدل والحق، كان لزاماً أن يكون الرد موجعاً وبشتى ألوان المقاومة بحثاً عن التحرر الذي يحفظ ماء الوجه ويرد للذات العربية حياتها، وليس للرد على هؤلاء فقط تقع المقاومة، بل لما يعانیه الشعب من ألوان الإذلال المتجدد؛ فبعد المؤامرة مع الإنكليز، فُرِضَتْ أشكال من القيود للتحرّك وكسب العيش، فصار الكل قضيةً عادلةً واحدةً ترنو إلى النصر الذي يمثل الحق في الحياة الكريمة.

تنشأ ممارسة التحرر بقيام الاحتلال، ويصبح الوضع باعثاً على الاغتراب مهما كان المحل والموضع، هي الحيرة الملازمة لوجود الإنسان، فلا شيء أكبر ولا أجل من الوطن، وهو الفكر والانفعال، ليفرض الحنين إليه نفسه في كل زمن. إن (رحلة التداعي في هذه القصيدة تجري بين شارع وكسفورد في لندن وسوق العطارين في نابلس. الرحلة تبدأ عند إشارة الضوء الأحمر وتنتهي عند إشارة الضوء الأخضر)<sup>(2)</sup>. وفيه الرغبة الملحة في العودة إلى الوطن، والحيرة دونه وبعيدا عنه اغتراب واعتلال.

7. إن الاغتراب الذي تعانیه في لندن ورغبتها في العودة إلى الوطن والحنين إليه يقابله الوضع الغريب الذي لا يحس فيه الطفل بانتماء لوطن ولا لأرض، كما في قولها:

- (ذات صباح سأل طفل من أطفال الروضة في كيبوتس معوز حاييم: كم يوماً يتوجب علينا أن نحافظ على الوطن؟)<sup>(3)</sup> وفيه:

- لقد غرس الصهاينة جيلاً جديداً من الأطفال عله يتشبث بالأرض ويتعلق بها، غير أن التساؤل يعطي:

- لا يعتقد أنه في وطنه أو أنه نشأ فيه إذ هو جديد وحادث عليه.

- لا رغبة له في الحفاظ على الوطن طويلاً، فهو كالمترق لا يلبث أن يسأم من عمل لا دافع له إلا الدافع المادي الذي يزول أمام الرغبات الروحية الداخلية للآخرين أو يتلاشى مع الزمن، وليس حاله كحال كرمه وعمر<sup>(4)</sup>.

1- الديوان، ص 572، وهو تقديم

2- الديوان، ص 573، وهو تقديم

3- الديوان، ص 626.

4- ينظر: الديوان، ص 492.

- لم يتربّ على حب الوطن، ولا عزيمة عنده لا لحبه ولا لحمايته؛ لأن الغريب لا يحافظ على وطن غيره، ولا يحفظ له عهدا بعدما يتأكد من فعل الاغتصاب والاحتلال! ...  
 - لا يمتلك الشرعية للدفاع عنه كما يمتلكها الفلسطيني ممن يمثله حالا، وهو الذي يرى التحرير والكفاح والنضال سبيلا للنصر أو الشهادة، وهيئات بينهما! ...  
 - قد تكون الإرادة إرادة الكبار لزرع جيل جديد في الأراضي المحتلة، فهو لا يرى فيها أمّا تشده إليها، فيسأم من وجود هو لا يريده.

على هذا يتعين صراع الإنسان مع الإنسان على مستوى الإهداءات والتقديمات والتعقيبات، وعلى مستوى الاقتباسات كذلك؛ فقد اقتبست الشاعرة من الدين والتراث الإنساني والأدبي. فأما الديني فقولها: (.ولكن أولئك الكرامين قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث. هلموا نقتله فيكون لنا الميراث فأخذوه وقتلوه وأخرجوه من الكرم)<sup>(1)</sup> إنه الظلم والاعتداء والنهب وامتلاك ملك الغير. وفي قولها: (يتوارون بظل الحائط أشباحا وهياكل جوفاء غير خفاف غير ثقالب) وفي القرآن الكريم "سورة التوبة" ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(2)</sup> دعوة للنفير وعدم الخضوع والخنوع، بما يشابه اللامبالاة واللاكتراث وعدم الاهتمام عند العرب كما تراه الشاعرة.

وأما التراث الإنساني ففي قولها: (لا تصافح كل من لاقيت في طريقك .. إن من الناس من يجب أن لا تمد إليهم يدا بل مخلبا ناشبا...) <sup>(3)</sup> و(إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق، أو تدبروا نفارق ، فراق غير وامق)<sup>(4)</sup> وفيهما بعث للحمية والانتقام ورد الاعتبار والمعاملة بالمثل.

وأما الأدبي فقولها: (في قصته (ما تبقى لكم) عبّر غسان كنفاني عن إحساس الفلسطيني بالوحدة والغربة في معركة المصير فقال: "أورثني يقيني بوحدي المطلقة مزيدا من رغبتني في الدفاع عن حياتي دفاعا وحشيا")<sup>(5)</sup>. إن اكتساب وحشية الكفاح، هو من قبيل المعاملة بالمثل في عالم لا يؤمن إلا بالقوة والأمر الواقع، وكل سبل الكفاح مباحة مادامت تحقق الغاية. وقولها: (أنا غير ما يرى مني. هذه هي مكيدتي ظفرت بها فليستولدها صلب الظلام من بطن جهنم خلقا شاذًا،

1- الديوان، ص 499. نص ديني من الإنجيل، إصحاح 12، مرقس

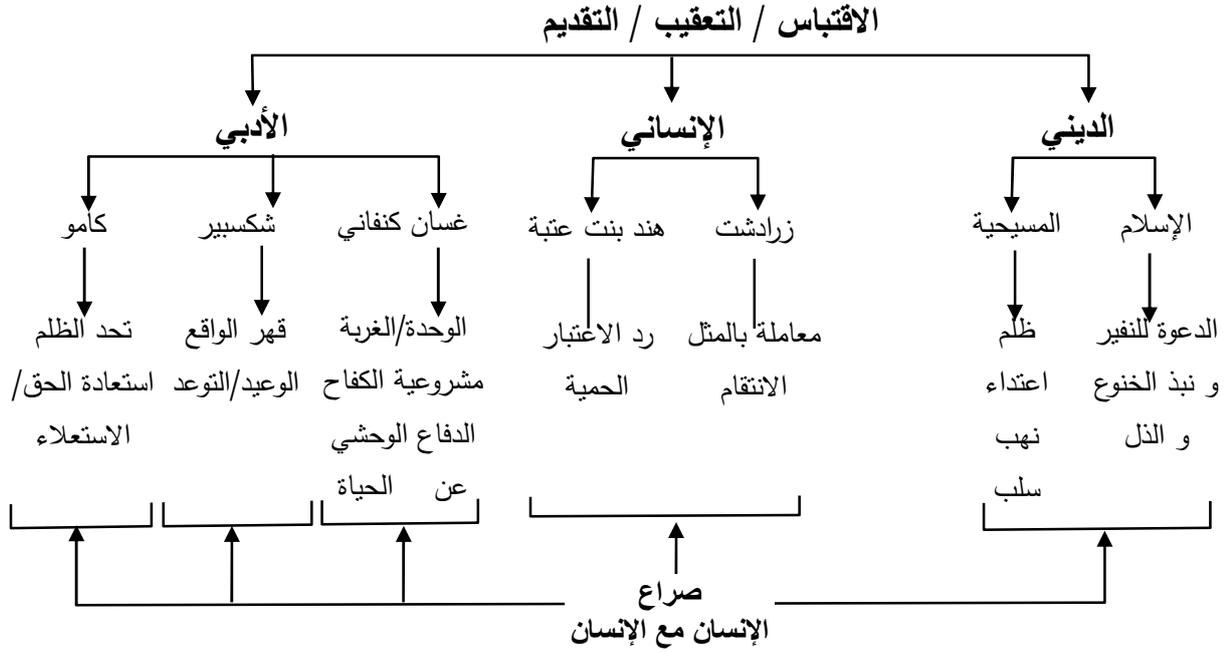
2- الديوان، ص 582، هو تعقيب و النص من القرآن، سورة التوبة، الآية: 41.

3- الديوان، ص 58، زراد شت

4- الديوان، ص 624، قول منسوب إلى هند بنت عتبة.

5- الديوان، ص 606، غسان كنفاني.

وإذا طلع عليه النهار ظهر فظيعة رهيباً<sup>(1)</sup> هي الصورة المماثلة. وكذلك قولها: (أنا مذنب، ولكن من يجرؤ أن يحكم علي في عالم بلا قضاة)<sup>(2)</sup>، فيه صورة اللاعدل؛ والمذنب وغير المذنب لا يهتم لأمرهما أحد، مما ينمي عاطفة رد الحق بالقوة، وفيه (الملفوظ) وجهان: الأول: أنها هي المتكلمة باسم كل فلسطيني مستندة إلى الاقتباس. الثاني: أنها تعبر عن الظالم الذي لا يجد لنفسه رادعا، وفيه نغمة تحد واستعلاء وكلاهما ممكن.



إن صراع الإنسان مع الإنسان يمثل شطرا من الديوان، والشرط الثاني مصروف لغيره كما سيتحدد مع باقي النصوص المصاحبة:

1. (للأموات أرض، وللأحياء أرض ولا يصل بينهما إلا الحب)<sup>(3)</sup>، ويتعين فيه . النص . الفناء والحياة تقابلا وبينهما الحب شعورا، وفي الحدث التماهي الروحي رغم التناهي الجسدي الواقعي. ويحتمل أن يكون الأمر قائما على التذكر الدائم وعدم النسيان أو الإخلاص الدائم والوفاء الذي لا تخالطه خيانة، وكأن عاطفة الحب تزداد كلما تقادم الفراق، وهو الغريب؟!.
2. (وأضحى كل ما كان مشاعا مشتركا بيننا مثار ألم شديد لنفسي. لقد كانت عيناى تبحثان عنه في كل مكان، ولكن شيئا لم يكن ليستطيع أن يهديني إلى طريقه، فأصبحت أبغض سائر الأشياء لأنها لم تعد تستطيع أن ترشدني إليه، ولأن شيئا منها لم يعد يستطيع أن يقول لي:"

<sup>1</sup> - الديوان، ص 621، شكسبير.

<sup>2</sup> - الديوان، ص 571، ألبير كامو .

<sup>3</sup> - الديوان، ص 429، (اقتباس)، تورنتون والدر

تمهل قليلا فإنه سيعود إليك ". وحينما كنت أقول لنفسي -بحق- : "ألا فلتضعي رجاءك في الله" لم تكن لتستطيع الإنصات إلي أو الاستجابة لي..<sup>(1)</sup>. عندما يتأكد المرء من الفراق واللاعودة، ويفقد قدرته على الصبر، يصل حد اليأس وقد يتجاوزه إلى التيه والضياع، ولن تتمكن المواعظ وكل أنواع الإرشاد من إرجاعه كما كان، يعتد بالإنصات ويستجيب للغير، إنه الفناء الكلي الذي ينعدم معه الإحساس بالذات والآخر والمحيط، أو الانزواء والانطواء على النفس التي تعيش عالمها الخاص في غير تماس بعالم الناس، وهو عالم غيب عندهم.

3. (يشهد غناء البجعة إذا جرحت، ومن هنا أخذت الاسم لهذه القصيدة الحزينة)<sup>(2)</sup>. إن العلة - الفراق - ولدت الألم والتوجع الدائم (شعور)، هو الجرح الذي لا يندمل، كيف لا وهو الذي لم يبلغ أحد مكانته.

4. (...وسألها : أتحييني ؟ ورنيت إليه ولم تجب)<sup>(3)</sup>. يبدو أن المفارق حبيب مقرب، وكل إجابة تدل على حبها ولا يحتاج الأمر للتصريح.

5. (ألا ليتني يا هواي الحبيب عرفتك من قبل تلك القصيدة)<sup>(4)</sup>. إن نغمة الأسف في النص تنم على إمكانية الخطأ في حق الحبيب أو هو اعتذار على حال ما، أو قد يكون حدثا وقع على أثر حدث وقد أحدث في ذاتها - الشاعرة - ندما يرافقها ويرافق شعورها.

6. (كان نداء إلى نزهة قمرية في النهر وفي حلم من أحلام يقظتها رأت نفسها هناك)<sup>(5)</sup> و(كان وعد بزيارة، وإذا البحر الميت يصخب، وإذا بقوس قزح يعانق الأفق أمامنا)<sup>(6)</sup>. يراودها الحنين إليه، لينمو في ذاتها الحلم والأمل بلقاء شاعري، فيأتي مرة وتزوره مرة وتتخيل في حلمها ويقظتها لقاءه، فتجود في نفسها النزهة في مكان لم يحدد وهو عندهما معلوم معروف، معين بلفظ ((هناك))<sup>(7)</sup>.

7. (في السفح الغربي من جبل (جرزيم) حيث تملأ مغارس الزيتون القلوب والعيون، هناك، ألفت القعود في أصيل كل يوم عند زيتونة مباركة تحنو على نفسي

1- الديوان، ص 419. (اقتباس ديني) القديس أوغستين.

2- الديوان، ص 315، (تقديم)

3- الديوان، ص 332، (تقديم)

4- الديوان، ص 352، (تقديم)

5- الديوان، ص 197، (تقديم)

6- الديوان، ص 344، (تقديم)

7- هناك يمكن أن يكون جرزيم، أو مكان الفناء أو مكان اللقاء أو مكان آخر (متن).

ظلالها، وتمسح على رأسي عذابات أغصانها، وطالما خيل إلي أنها تبادلني الألفة والمحبة، فتحس

إحساسي وتشعر شعوري. وفي ظلال هذه الزيتونة الشاعرة، كم حلمت أحلاما، ووهمت أوهاما!<sup>(1)</sup>. في النص استئناس بالقعود في جبل جرزيم ومغارس الزيتون ترافق وحدتها وتبعث فيها الأوهام الأحلام. فقد يكون مكانا باعنا على كل إحساس جميل. وقد يكون موضع البقاء المعتاد. وقد يكون مكانا للانتظار، وقد يكون مكانا للخلوة والتأمل واسترجاع الذكريات. أو هو مكان لتصور الآيات ورسم معالم المستقبل مع من تراه أو رآته أهلا لمرافقتها في حياتها وكل الوجوه على ثنائيتي اللقاء والفرق.

8. (إلى الصوت الحنون المتواجد، الذي ينبعث مع كل فجر هاتفا: سبحان خالق الإصباح، فيهنز أعماقي ويغرق روحي في نشوة سماوية)<sup>(2)</sup>. تستلطف الشاعرة الإصباح، وكأنها تستهجن الليل، فقد يكون النهار تعويضا لهواجس الليل، أو فيه تجد حياتها العادية رفقة الناس، وربما الإصباح يصلها في عظمته وجماله بخالقه. أي الإصباح. فتحس بشيء من الطمأنينة، أو فيه تجد الحياة فيبعث فيها الأمل، وهذا ما يؤكد فكرة الانتهاء والفناء.

يتأكد في هذه المواضع جميعا تعالق الشعور بالزمن ليلا ونهارا وإصباحا وأصيلا، كما يتأكد تعالق كل ذلك مع الإنسان حاضرا وغائبا فإذا كان هذا هو الحال، تقرر عندها:

9. (لا تتكلم، إن التفسير يقلل من طرافة الموضوع)<sup>(3)</sup> فيكون الكلام زائدا، والإنسان يعيش كل هذه العواصف التي تعصف به في كل اتجاه، ليعيش مأساته الناشئة عن الحلم الذي لا يتحقق والأمل الغارب. والطفرة تأخذ معنى السخرية من الوضع الذي يبدو مهينا. سخرية الواقع، وسخرية الإنسان من نفسه وواقعه. وقد تأخذ معنى الرفض للحاصل، فهو مردود غير مقبول عندها، وقد تأخذ معنى المعرفة المكشوفة فيكون الكلام شكلا من أشكال الشكوى التي لا طائل من ورائها، فتجلت شماتة الآخرين، وسوء تقديرهم لحالها. وهنا يؤدي الكتمان دور الامتناع عن التذلل واجتناب ملفوظات الشفقة أو الهمز والتورية، وتحتفظ لنفسها بحالها وشعورها ومصابها؛ فقد فقدت أحيوها. إبراهيم ونمرا. وترنو إلى حبيب قريب بعيد، فجاءت حياتها متداخلة الأحداث غريبة، وزادتها الحال

<sup>1</sup> - الديوان، ص 23، (تقديم).

<sup>2</sup> - الديوان، ص 110، (تقديم في صورة إهداء).

<sup>3</sup> - الديوان، ص 74، (اقتباس أدبي)، فيكتور هيجو.

الأولى . صراع الإنسان مع الإنسان . تأزماً، وشقَّ عليها أن ترى نفسها تحيا منكسرةً وهي تفقد حلاوة الحياة.

وعلى هذا الأساس يصرف الشق الآخر للتوتر والقلق والصراع النفسي المتزايد مع الزمن انحساراً من غير اتساع إلا لحظات معدودات مع اللقاء والتخيل والآمال.

10. (لا أؤمن بجبرية تأتينا من الخارج، وإنما الجبرية تكمن في داخل الذات، هي جزء لا ينفصل عن النفس. ومن هنا مأساة وجودنا الإنساني)<sup>(1)</sup>. تستهجن في هذا الملفوظ أن يستسلم المرء للجبر المفروض على النفس، إنما الجبر ما يتمكن فيها من اعتقادات ومسلّمات وكأنها ترنو إلى من يصنع قدره بنفسه، ويبدل جهده لحال أفضل وأن الواقع المعيش لا وجود له إلا إذا أوجده الإنسان في ذاته سلفاً. وهو وضع فيه وجهان:

الأول: أنه قول جاء بعد تجربة وهذه قناعة جديدة عندها لم تكن عليها قبلها أي قبل التجربة.

الثاني: أنها تقدم نعمة ندم فيها ثورة على نفسها وعلى غيرها ممن يماثلها في الفكر والرأي، فتسعى لرفع كل ما يضعف الحال وتستصغرها وهي التي عاشت الحب والحلم والجرح والاستسلام في تحوّل له علاقة بفقدان أخويها<sup>(2)</sup>. فهل فقدانهما معا هو مركز التحول؟ أم فقدان أحدهما؟

إن الأکید أنها عاشت حالة من الكآبة وهو الشق الآخر في خطابها الشعري، سيتأكد مع بناء الخطاب وبعد قراءة كلية شاملة.

<sup>1</sup> - الديوان، ص 356، (تقديم).

<sup>2</sup> - الديوان، ص 7: (إلى روح شقيقي إبراهيم)، وص 409: (إلى روح شقيقي نمر).